



نورانية لانهاية تلكم التي يترك آثارها القرآن في القلوب ، يوقظ البصيرة فتضيء بنور الحق ، وتستمد نورها من العقيدة الصافية النقية في توحيد الله سبحانه .

وفي حين تسيطر الأمراض النفسية ، وأكثرها أمراض الاكتئاب الناتج عن كثرة الهموم والأحزان ، فتثقل النفس ، وتوهن القلب وتقع الجوارح ، حتى يصير المرء عاجزا كسلانا ، مهموما ، محزونا ، لا يقدم شيئا إيجابيا لنفسه ولا لأسرته ولا لأمتة ، فإن القرآن يقدم له العلاج ..

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يستعيز من هذه الأمراض ، كما أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن و أعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ”

لقد علمنا الله سبحانه أن المستمسك بآياته ، الموقن بها ، المحب لها ، الواثق في موعودها ، سيعبر لحظات الضعف ولا شك ، وسيكسر آلام الهم .

ويعتمد العلاج القرآني ابتداء على تثبيت معاني الإيمان بتوحيد الله سبحانه ، وتنقية العقيدة ، ويدعو المؤمن به للإخلاص والصدق في أخذها.

وكذا يدعوه للإيمان باليوم الآخر ، ويكرر عليه مشاهدته ليعيشها المؤمن رأي العين ، فتخبت نفسه ويخشع قلبه ويعمل لما بعد الموت .

ثم هو يبتث الطمأنينة في القلب تارة بروعة الكلمات وأثر الآيات ذاتها ويركتها وفضلها ، وتارة بالتصريح بكونها تطمئن القلب ، ” ألا بذكر الله تطمئن القلوب ” كتأكيد وبيان ان ذكر الله تسكن معه القلوب ، فتطمئن لموعود ربها ، فتأمن من الخوف ومن الفزع .

والآيات تذكره بالأمان في معية الله ، فلا خوف إلا من الله ، ولا رهبة إلا من عذابه ، فتستقر الطمأنينة فيه ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله ، فينجلي كل خوف ، ويذهب كل ضعف ، فتجد القلب مطمئنا ليومه ، راضيا بأمسه ، مستبشرا بغده ، إذ اليوم متوكل على الله ، وأمس راض بقدر الله فيه ، وغدا مستبشر باليسر بعد العسر .

ولئن كانت الطمأنينة تخص ذات القلب ، فالسكينة تخص الحوادث المارة على النفس ، فيؤكد القرآن أنه " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " ، ويقول صلى الله عليه وسلم : ” ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول :قدر الله وما شاء فعل اللهم أجرنى في مصيبتى وأخلفني خيرا منها ، إلا أجره الله فيها وأخلفه خيرا منها ” مسلم

وفي كتاب الله تثبتت في الحوادث والمصائب بالإجابة إلى الله والرجوع إليه سبحانه ، قال سبحانه ” وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ”

ثم هناك نوع آخر من المشاعر والمفاهيم يبتثها القرآن الكريم في المؤمنين ، ذاك مفهوم الثقة في الله ، يقوي به القلب ويثبت به النفس ، فترى القلب تتضاعف قوته ، وترى النفس قادرة على خوض غمار المصاعب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : لا حول ولا قوة إلا بالله لها أثر عجيب في تقوية القلب والجسد ، والله سبحانه وتعالى في كتابه يقول ” الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ” ، وقد أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يثق في موعود الله عز وجل ويوقن بذلك وأن ذلك كافيه وحسبه ذلك ، فقال ” يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ”

والآيات في كل ذلك تدعو إلى الأخذ بالأسباب ، فراحة البال ينبغي أن تبنى على عمل ” وتلكم الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ” ، لا على تواكل أو على قعود ، أو انطواء ، لكنها مبنية بالأساس على الثقة بالله كما أسلفنا وكذلك بعد الأخذ بالأسباب التي أمر الله بها .

قال سبحانه في كتابه حاكيا عن ذي القرنين ” ثم أتأع سببا ” , وقال ” وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ” , وقال في موقف مريم الضعيفة بينما هي تضع مولودها : ” وهزي إليك بجذع النخلة ” , وقال في شأن موسى عليه السلام وهو بصدد معجزة غير مسبقة : ” فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ” .

ولكن الله عز وجل يعلمنا أيضا أنه ليس إعداد القوة ولا رباط الخيل ولا هز جذوع النخل ولا ضرب الحجارة بالعصا , ولا غير ذلك وحده كافيا للمؤمنين , بل كلها أسباب تفتقر إلى قوة العظيم القادر سبحانه .

فيعلمنا أن الله إذا علم من عبده صدق اللجوء إليه واتخاذ الأسباب مع توكله الكامل عليه وبذل جهده القادر عليه وصبره ويقينه , أنه لا شك ناصره , ولذلك بشر الصالحين بأعظم بشرى فقال سبحانه : ” إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ”

وآيات القرآن الكريم تعالج هموم النفوس بطريقة مدهشة , عن طريق تذكير المؤمن بسمو هدفه ونبل قضيته , فكلما شعر المؤمن بعظمة ما هو بصده , كلما هانت عليه الأحزان وصغرت أمامه العقبات .

وانظر إلى القرآن الكريم وهو يضرب لنا ذلك المثل في مؤمن سورة يس إذ دافع عن كلمة الحق ولم يبال بالأذي لأنه ينظر إلى سمو قضيته وعلو هدفه , قوله تعالى : ” وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين , اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون , وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون , أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون , إني إذا لفي ضلال مبين , إني آمنت بربكم فاسمعون , قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ” سورة يس

إن نبل غايته أنساه البغضاء وأنساه الثأر حتى إنه لما رأى موعود ربه أحب لو أن الذين آذوه قد رأوا الحق وفهموا الصواب وتبينوا صدق المسيرة .

إنها طرائق علاجية قد بثت في كتاب الله العظيم وهي غيض من فيض , ونقطة في بحر شفاء من القرآن الكريم للنفوس والقلوب .

المصادر:

المسلم